عيد ميلاد نورا

كنت في ذلك الحين مرتاحة البال لا يشغل ذهني الاّ ضرورة زواج عبد الرحمن من فتاة تناسبه تعوضه عن ثريا وتكون أما للصبيين، ولم يكن في ذهني الاّ جهينة، ولكن كان يجب أن تكون البادرة من عبد الرحمن وليس مني في التقرب اليها،غير أنه لم يبد الحماس نفسه الذي كنت أشعره نحوها.. ترى أتراوده الظنون التي راودتني، بأنها قد تكون غير مؤهلة لحب وسيم كما تحب جهاد وهي تعلم بأنه ابن المرأة التي خطفت منها حبها الأول لكريم وأتعستها لتقع في شباك رجل هو نقيضها في كل شيء، سلبها ثروتها ليغدقها على الأخرى التي هي أم وسيم؟ أتراها تستطيع أن تمحو من ذاكرتها كل الإساءات التي عانتها وعاناها شعبها وتسمو بعاطفتها لتحب صبيا معاقا هو شبيه بأمه؟؟

ما كنت واثقة من هذا.. لا يستطيع أحد أن يطالبها أن تكون مثل ثريا أو مثل أسماء في العطف على وسيم!..

صرفت ذهني عن هذا الهاجس الذي لأقلقني، وأخذت أفكر بزوجي وبهشام ورسالته الأخيرة لي التي أزمع فيها على الإستقالة من جامعة الكويت، ونقل زوجته ووالديه الى نيويورك، ليستمرفي ملاحقة قضية حرق المصرف. وكنت في وضع يلاحقني فيه جارنا الصيدلي الملحاح لسترداد أمواله، حتى بتّ راغبة في الإنتقال الى بيت زوجي، بعد أن فرغ من والدة جولييت وأختهاواللتان اصطحبهما ريمون وزوجته الى نيويورك.

جاؤوا جميعا لوداعي.. وكرر ريمون رغبته في مساعدة هشام في ملاحقة قضية حرق المصرف، ودلّل نورا وسألها ان كانت تحب أن تكتب رسالة لوالدها ليوصلها اليه.. فكتبت "أحبك ياوالدي.." وتوقفت..

-ألا ترغبين في هدية معينة يرسلها لك في عيد ميلادك القريب؟ سألها ريمون، فأجابت:

-أريد أن يحضر عيد ميلادي.. اشتقت له كثيرا.

-أكتبي له ذلك ان هذا يفرحه كثيرا.

وأكملت نورا رسالتها وأعطتها لريمون..

أخذت أهيئ لعيد ميلاد نورا، وأسألها من تحب أن تدعو من رفاقها ورفيقاتها فقالت "كل رفاق ورفيقات صفي"

-كم عددهم؟

-عشرون..

-ومن سيوصلهم الى بيوتهم؟

-أهلهم! كلهم لديهم سيارات..

-تلفني لهم وادعيهم، الحفلة تبدأ في السادسة وتنتهي في الثامنة..

تقاطر الصغار الى المنزل حاملين هداياهم، ورقصوا على أنغام الموسـيقى سـاعة دون أن يتعبوا، وكانت فريدة قد أعدت المائدة بمختلف الأطعمة في مثل هذه المناسـبات فتحلق الأولاد حولها وأخذت لهم الصور لأرسلها لوالدها..وأطفأت نورا الشمعات العشر التي تلألأت فوق قالب الجاتو، وساعدت الصغار الخجولين في الإختيار وقمت بواجـب المضيفة، ودخلت فريدة تهمس لي "ريمون على التلفون!"

-ألا تزال في بيروت حتى الآن؟

-كنت في نيويورك وكنني عدت اليوم وأحب أن أراك.

-أنا مشغولة بحفلة نوراليوم، انه عيد ميلادها ولقد دعت رفاق صفها جميعا..

-متى تنتهي الحفلة؟

-في الثامنة..

-هل أستطيع أن أراك في التاسعة؟

-تفضل.. أهلا وسهلا.. سيأتي كريم وزوجته في هذا الموعد..

-حسنا..

عدت أدراجي لأقطع الجاتو، ومالبثت أسماء وكريم أن قدما يحملان هديتهما لنـورا وهي ثوب ودمية كبيرة ومجموعة من كتب الأطفال وشوكولاتة..وأخـذ كـريم بـدوره صورا للصغار مع نورا وأوصل من لم يأت أهله لاصطحابه لإيصاله الى منزله بمرافقة نورا، وهذا ما كنت أنوي أن أفعله لولا أنني أنتظر قدوم ريمون في التاسعة..

جلس كريم وريمون في غرفة الإستقبال، ودخلت وأسماء لنساعد فريدة في غـسل الأطباق وتوضيب البراد.. قال ريمون:

-أنا لم أرك منذ حفلة عرسك، والآن ألتقي بك في عيد ميلاد ابنة أختك..

-يلتقي الناس بكثرة في المناسبات المفرحة..

-وقد تكون مناسبة فرح وحزن معا..

-ماذا تعني؟

-ألم تسمع الأخبار؟

-لا، كنت مشغولا طوال اليوم في المستشفى أنا وزوجتي..

-لا أعرف ما أقوله لك، يبدو أن السيدة نبيلة لم تسمع بها اليوم..

-أهي أخبارسيئة؟ أهناك مجزرة أخرى تجري في مكان ما في لبنان؟

-لا، هي أوثق صلة من الأحداث العامة.. البلد مطبولـة بهـا وأنـتم آخـر مـن يعلم..مقتل الصيرفي المعروف الأمير هلال السعودي مع ابنه في حادث انفجار سـيارته وهويصعد اليها قرب الباب..سمعت الخبر وأنا في الطائرة قادم لأنجز بعـض أعمـالي، وأحمل معي هدية الأمير لابنته في عيد ميلادها..

شحب وجه كريم وقال:

-هل أنت متأكد من الخبر؟

-نعم تأكدت منه وأنا في السفارة لإنجاز بعض أوراق تتعلق باستقالتي..

دخلت نورا لتقول "تصبح على خير" للعم ريمون والخال كريم.. فناولهـا ريمـون علبة ملفوفة هدية من والدها، فقالت والنعاس يغالب عينيها:

-ليش ما أجا في عيد ميلادي؟

-رحل الى الشمال لسبب يتعلق بالمصرف. وهذا مفتاح سيارة اشتراها من نيويورك وأوصاني أن أستلمها من فرع الشركة في بيروت حتى توصلك بها ماما الى المدرسة.

خرجت نورا تزقّ الى غرفة نومها ولما تبعتها لتنام وجدتها تعبة الى الدرجة التـي غطت فيها بالنوم دون أن تفتح هديتها..

قال ريمون:

-لا أعرف كيف أنقل الخبر الأليم للسيدة نبيلة!.. انني أنجزت مهمتي ، ولا أستطيع أن أحتمل مشهدا ينفطر له قلبي..

-أين ريمون؟ سألت كريم دهشة..

-لديه موعد ضروري وسيعود لرؤياك في الغد..

-جاء في وقت غير مناسب.. سأذهب الى المطبخ ، فأنا لا أحب أن يبقى عمل غير منجز في الصباح..

-ابقي معي.. لدي خبر يحتاج الى كل شجاعتك لتحتمليه.

تصورت في لمحة كل ما يمكن أن يكون الا ّالخبر الصاعق الذي فاجأني به كريم.. لم أصدق، ولم أصرخ، ولم تبض عيناي بالدموع، بل كنت أرتجـف وأرتعـش كأنمـا أصابتني البرداء بعد حمى عالية نشبت بجسدي..

-سأنام وأسماء عندك الليلة، وفي الصباح آخذك ونورا الى بيتي.. لا يجب أن تبقي في البيت، فستقرع التلفونات رأسك، ويتقاطر الناس الى تعزيتك، وهذا ليس في صـالح نورا.. ليبق والدها في خيالها بعيدا في الغربة، له مشاغله خيرا من أن تعرف أنها فقدته الى الأبد..

* * *